@ 445 @ لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) ^ يخبر تعالى ، عن جهل المشركين وظلمهم ، أنهم يعبدون من دونه آلهة ، اتخذوها شركاء ، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقا ، من السموات والأرض ، فلا ينزلون مطرا ، ولا رزقا ، ولا ينبتون من نبات الأرض شيئا ، ولا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض ، ولا يستطيعون لو أرادوا ، فإن غير المالك للشيء ، ربما كان له قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل به ، وهؤلاء لا يملكون ولا يقدرون . فهذه صفة آلهتهم . كيف جعلوها مع ا ، وشبهوها بمالك الأرض والسموات ، الذي له الملك كله ، والحمد كله ، والقوة كلها ؟ ! ! ولهذا قال : ^ (فلا تضربوا الأمثال) ^ المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه ، ^ (إن ا يعلم وأنتم لا تعلمون) ^ فعلينا أن لا نقول عليه بلا علم ، وأن نسمع ما ضربه العليم من الأمثال ، فلهذا ضرب تعالى مثلين له ولمن يعبد من دونه ، أحدهما عبد مملوك ، أي : رقيق لا يملك نفسه ، ولا يملك من المال والدنيا شيئا ، والثاني حر غني قد رزقه ا منه رزقا حسنا ، من جميع أصناف المال وهو كريم محب للإحسان ، فهو ينفق منه سرا وجهرا ، هل يستوي هذا وذاك ؟ ! لا يستويان ، مع أنهما مخلوقان ، وغير محال استواؤهما . فإذا كانا لا يستويان ، فكيف يستوي المخلوق والعبد ، الذي ليس له ملك ولا قدرة ، ولا استطاعه بل هو فقير من جميع الوجوه ، بالرب المالك لجميع الممالك ، القادر على كل شيء ؟ ! ! ولهذا حمد نفسه ، واختص بالحمد بأنواعه ، فقال : ^ (الحمد) ^ ، فكأنه قيل : إذا كان الأمر كذلك فلم سوى المشركون آلهتهم با ؟ قال : ^ (بل أكثرهم لا يعلمون) ^ فلو علموا حقيقة العلم ، لم يتجرؤوا على الشرك العظيم . والمثل الثاني مثل ^ (رجلين أحدهما أبكم) ^ لا يسمع ولا ينطق ^ (لا يقدر على شيء) ^ لا قليل ولا كثير ^ (وهو كل على مولاه) ^ أي : يخدمه مولاه ، ولا يستطيع هو أن يخدم نفسه ، فهو ناقص من كل وجه ، هل يستوي هو ، ومن يأمر بالعدل ، وهو على صراط مستقيم ، فأقواله عدل ، وأفعاله مستقيمة ، فكما أنهما لا يستويان ، فلا يستوي من عبد من دون ا ، وهو لا يقدر على شيء من مصالحه ، فلولا قيام ا بها ، لم يستطع شيئا منها ، ولا يكون كفوا ، ولا ندا ، لمن لا يقول إلا الحق ، ولا يفعل إلا ما يحمد عليه . ^ (و غيب السماوات والأرض ومآ أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن ا على كل شيء قدير) ^ أي : هو تعالى المنفرد بغيب السموات والأرض ، فلا يعلم الخفايا والبواطن ، والأسرار إلا هو ، ومن ذلك ، علم الساعة ، فلا يدري أحد متى تأتي ، إلا ا ، فإذا جاءت وتجلت ، لم تكن ^ (إلا كلمح البصر أو هو أقرب) ^ من ذلك فيقوم الناس من قبورهم إلى يوم بعثهم

ونشورهم ، وتفوت الفرص لمن يريد الإمهال ، ^ (إن الله على كل شيء قدير) ^ فلا يستغرب على قدرته الشاملة ، إحياؤه للموتى . ^ (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) ^ أي : هو المنفرد بهذه النعم حيث ^ (أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) ^ ولا تقدورن على شيء ثم إنه ^ (جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) ^ ، خص هذه الأعضاء الثلاثة ، لشرفها ، وفضلها ، ولأنها مفتاح لكل علم ، فلا يصل للعبد علم ، إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة ، وإلا فسائر الأعضاء ، والقوى الظاهرة والباطنة ، هو الذي أعطاهم إياها ، وجعل ينميها فيهم ، شيئا فشيئا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به ، وذلك لأجل أن يشكروا الله ، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح ، في طاعة الله ، فمن استعملها في غير ذلك ، كانت حجة عليه ، وقابل النعمة بأقبح المعاملة . ^ (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السمآء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) ^ أي : لأنهم المنتفعون بآيات الله ، المتفكرون فيما جعلت آية عليه ، وأما غيرهم ، فإن نظرهم نظر لهو ، وغفلة . ووجه الآية فيها ، أن الله تعالى خلقها بخلقة تصلح للطيران ، ثم سخر لها هذا الهواء اللطيف ثم أودع فيها من قوة الحركة وما قدرت به على ذلك ، وذلك دليل على حكمته ، وعلمه الواسع ، وعنايته الربانية بجميع مخلوقاته وكمال اقتداره ، تبارك الله رب العالمين . يذكر تعالى عباده بنعمه ، ويستدعي منهم شكرها ، والاعتراف بها فقال : ^ (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارهآ أثاثا ومتاعا إلى حين * والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون * فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين * يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) ^ ^ (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) ^ في الدور والقصور ونحوها ، تكنكم من الحر والبرد ، وتستركم ، أنتم وأولادكم ، وأمتعتكم ، وتتخذون فيه الغرف والبيوت ، التي هي لأنواع ، منافعكم ومصالحكم ، وفيها حفظ لأموالكم وحرمكم ، وغير ذلك من الفوائد المشاهدة . ^ (وجعل لكم من جلود